الاستهلاك العشوائي مرض وإهدار..!!

سلع تشترى وبضائع تستهلك من باب المباهاة والتقليد

الاقتصاديون يجمعون على وجود الاستهلاك العشوائي ويرسمون التحذيرات

"القناعة كنز لا يفنى" هذه الحكمة أدت إلى أن تتزاحم في الذهن تساؤلات عديدة وترتسم على الوجه علامات التعجب والدهشة من جمهور المتبضعين والمتسوقين المقتدرين المتهافتين على شراء أي شيء وكل شيء... لهاث وراء صراعات الموضة والتجديد الدائم حتى الاشياء الجديدة ثم التغيير حتى يقال انه قادر على التغيير .. وما دام السوق مفتوحاً وكل شيء متوفراً والجيب ممتلئاً فلا يتبقى إلا الشراء فما إن تظهر سلعة جديدة حتى يكون التهافت والإنجذاب لشرائها دون حاجة ضرورية لاقتنائها ..

المقبلون على الاستهلاك العشوائي فئات معينة من الناحية الإقتصادية تمتلك القدرة على الشراء بكل سهولة.. فهل الشراء .. بالفعل سهل إلى هذه الدرجة؟

تحقيق / عبد الحكيم الجبري

ندرك جميعاً مدى صعوبة الحياة الاقتصادية والظروف المعيشية التي تحيط بالكثير من الاسر والافراد .. الامر الذي يشغل الكثيرين ويؤرق جفونهم ويقض مضجعهم ويحول نومهم إلى تفكير في كافة السبل والوسائل لتحسين ظروفهم وفي هذا الخضم هناك حقيقة . بات من شبه المؤكد ان لها ضلعاً قوياً وباعاً طويلاً في أحوال البعض الاقتصادية وذلك لاستحواذ المظاهر والشكليات على بعض العقول وتصدرها سلم الأولويات والسعي وراء كل جديد ومستحدث بالإضافة الى الاعلان ونجاحه في استقطاب الاهتمام ودغدغة المشاعر والوجدان والتي هي أقرب طريق بل وأسهلها للوصول إلى المارب والاهداف والغايات، انها حقيقة الاستهلاك العشوائي المخيف لبعض السلع والكماليات في المجتمع التي اصبحت تطفو على السطح وتشكل تهديداً غير مباشر ليس على ميزانيات الافراد بل على الاقتصاد الوطني الذي يتجشم عناء استيراد تلك الأشياء بالعملة الصعبة.

متسوقون

وعندما يدور الحديث عن المظاهر والشكليات وصور البذخ الاستهلاكية فإنه يتبادر إلى الاذهان مباشرة صورة المرأة اليوم ومدى تعلقها بهذه الامور ومدى مساهمتها إلى حد كبير في تشكيل قوة ضاغطة على الميزان الاقتصادي الاسري .. وبالرغم من ان معطيات الواقع تشير إلى الاستهلاك العشوائي للسلع والكماليات متعلقة بالمرأة إلا أن ذلك لا يعني أن الرجل معافى من الحمى الاستهلاكية بل أن هناك من الرجال كما قال أحد الباحثين المحليين من بلغت عنده هذه الحمى مبلغها ووصل إلى درجة الغليان الاستهلاكي بدرجة تفوق التصور و العقل ..

أحدهم ممن التقيناه في أحد المحال التجارية أبدى رأيه قائلاً : "اصرف مافي الجيب ياتيك مافي الغيب".. مضيفاً: كم مرة سنعيش"؟! وآخر يقول أننا نعيش في واقع مليء بالمغريات والمنتوجات التي تجذب الانظار والاهتمام واحياناً لا يستطيع الانسان مقاومة هذه المغريات سواء أكان رجلاً أو امرأة..

وفي أحد المحال التجارية في شارع "حدة" لفت انتباهي داخل ذاك المحل الخاص بالعطور والساعات الانيقة تهافت شباب تتراوح اعمارهم مابين سن الـ٢٠ - ٢٥" عاماً، على اقتناء عطورات بالجملة وساعات عدة من مختلف الماركات ..

ومن باب الفضول قمت بطرح سؤال لأحدهم عن سبب إقتنائه لتلك العطورات بالجملة.. فكانت اجابته مختصرة لكونه لا يريد التحدث معي حيث قال:"أهتم بنوع خاص من العطور"

ضعف أمام الجديد

اكتشف "علي القاسمي" المتزوج منذ أشهر قليلة أنه كان يهتم بنفسه وبشراء الملابس والأحذية بشكل أكبر مما يفعل الآن.. حيث وجد أن هناك أولويات تخص الحياة الاسرية تستحق ان يصرف عليها المال ولكنه يقول أن اهتمامات كثير من الشباب المحصورة اعمارهم في فترة العشرينات هي في المظهر الشخصي ولا شيء يضاهيه في الأهمية لذا فإن الشاب لا يكاد يفارق الاسواق ليقتني كل ما من شأنه أن يجعل مظهره بين الآخرين".

ولا يستطيع "حسن شرف الدين" مقاومة البضائع الموجودة في السوق لأن الموضة حلوة" على حد قوله ولذا فإنه يشتري ما يعجبه من ملابس دون تردد ودون أن يضع في اعتباره تكرار شراء الالوان أو حتى تشابه الموديلات.

وكثيراً ما يقوم بشراء اشياء وليس في حاجة لها لمجرد انها اعجبته فقط.. ولهذا لا يتبقى من راتبه شيء حسب قوله والأغرب من ذلك أنه يتصل أحياناً بأهله في مدينة شبام كوكبان ليبعثوا له بالمال .. فمغريات الشراء كثيرة وعديدة والاستهلاك العشوائي والترفي ايضاً كثير..

غير منطقي

وينتقد" قاسم درهم" البائع في محل تجاري بالملابس ، إقبال الشباب واستهلاكهم العشوائي على شراء الملابس بهذة الطريقة التي يجدها غير منطقية .. ويقول انه يمكن أن تكون المرأة موضوعاً للنقد نظراً لاستهلاكها الترفي للكثير من الاحتياجات الضرورية وغير الضرورية.. بحكم شكلها وأناقتها لأنها «أنثى» ولا بد لها من الاعتناء بنفسها، لكن الحكم على الرجل لا يجب أن يكون على أساس المظهر فيكفي أن يكون الرجل مقبولاً وكفى.. لكنه يصمت للحظة ثم يبرر ذلك بأن نمط الحياة اختلف خلال السنوات الأخيرة الماضية فاصبحت هناك ملابس خاصة بالصباح واخرى للمساء كما تؤثر طبيعة العمل لدى بعض الناس في مظهرهم الخارجي.

مرض

● في دراسة قام بها الباحث الاقتصادي «طاهر محمد علي» عن سلوك المستهلك اليمني خلص إلى أن ٢٠-٤٠٪ من دخل الأسرة السنوي ينفق على الغذاء و٤٠-٦٠٪ على الكساء ومثلها على الترفيه بكافة أنواعه و١٥-٢٠٪ على التأثيث ومثلها على الأجهزة الكهربائية و٥-١٠٪ على التعليم ومثلها على السكن.

- هذه الإحصاءات تشير إلى اننا بالفعل مجتمع يعاني من مرض الاستهلاك العشوائي فنحن ننفق المال على سلع كمالية وفي مناسبات غير ضرورية بهذا يعرف الدكتور عبدالغني حجر استاذ الاقتصاد بجامعة تعز الاستهلاك العشوائي «الترفي» ويؤطره بشوائب كالإسراف والتبذير بقصد التباهي وحب الظهور وتعويض نقص اجتماعي معين.

خيارات عشوائية

● لا خيار لنا كمستهلكين كما يقول الدكتور الاقتصادي إبراهيم بافضل فالسلوكيات الاستهلاكية بدأت تتغير اليوم، إما بسبب ثورة المتغيرات والإنتاجية الكبيرة أو لأننا ننتهج مسلكاً استهلاكياً لاخفاء شيء في نفوسنا كمستوانا المالي أو الثقافي مثلاً، ولذلك كان خيارنا عشوائياً حسب ما يمليه ذوق المصمم أو حسب النص الإعلاني في الفضائيات.

- ويرى الدكتور أنور الكثيري - استاذ الاقتصاد بجامعة عدن- ان الاستهلاك العشوائي ضرب من ضروب هدر الامكانات والقدرات الاقتصادية في غير موضعها الطبيعي.. وقال: «الثروات الاقتصادية ينبغي في الدرجة الأولى ان تتوجه إلى تقوية البنية التحتية للمجتمع لأن الحضارات والمدنيات لدى المجتمعات الإنسانية قاطبة لا تقوم على الاستهلاك العشوائي وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية.. بل على المزيد من توجيه الثروات إلى عمليات الإنتاج في إطار مؤسسات وجمعيات ترجع بالنفع على الجميع».

طفيليون

● يحدد الدكتور أحمد سعيد الدهي استاذ الاقتصاد بجامعة صنعاء وجود الفئات والشرائح التي تستهلك السلع الكمالية أنها تحصل -حسب قوله- على موارد مالية ضخمة عبر قنوات معينة كالتعامل مع اقتصاد الظل والمتاجرة بالعقارات والمضاربة على العملة، ومن ثم تعيد ضخ هذه الموارد إلى السوق الاستهلاكية في صورة شراء سلع كمالية باهظة الثمن كالسيارات الجديدة، والأجهزة المنزلية...و... الخ.

ويقول أن هذه الفئات والشرائح تتنافس مع اغراض التنمية على موارد النقد الأجنبي، التي تصل نسبة ما تستقطعه من هذه الموارد نحو ٣٠٪.

وقال ان الاستهلاك العشوائي للسلع والكماليات ينعكس على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في صورة اهدار موارد النقد الأجنبي وحرمان مشروعات التنمية وابطاء حركة التطور من ناحية فضلاً عن رفع معدلات التضخم والتأثير السلبي على سعر صرف العملة وقيمتها الشرائية من ناحية أخرى.

ويرى أنه يتوجب على الحكومة بغية مكافحة الاستهلاك العشوائي للسلع والكماليات التدخل عبر التشديد على إدارة الطلب وهو المكون الأساسي لسياسة برنامج الإصلاح الاقتصادي من خلال استحداث السياسات المالية والنقدية أو تجفيف مصادر الأموال غير المستخدمة في قنوات الاستهلاك الترفي والعشوائي.

غياب الوعي

● الدكتور طه الفسيل -المدرس بكلية التجارة والاقتصاد بجامعة صنعاء ارجع سبب تفشي ظاهرة الاستهلاك العشوائي في مجتمعنا إلى غياب الوعي الاستهلاكي.. وقال أن المشكلة تكمن في المناهج التعليمية التي لا يتم فيها تدريس ترشيد الاستهلاك.

ويردف انه من ضمن المشاكل المسببة في ظاهرة الاستهلاك العشوائي للسلعة والكماليات.. مشكلة التقليد والمحاكاة لدول الجوار على الرغم من الفارق الكبير في مستوى الدخل لدى الفرد.. فهذا كله يؤثر على الاقتصاد.

داخل الأسرة

● نمط الاستهلاك يتأصل لدى الطفل منذ الصغر وعلمية التنشئة الاستهلاكية هي عملية مستمرة يتعلم الطفل من خلالها المعارف والمهارات والاتجاهات التي تتناسب مع حصوله على المنتجات.. ومما لا شك فيه ان دور الأسرة مهم، فالطفل يتعلم السلوك الاستهلاكي العشوائي المبرر وغير المبرر داخل أروقتها قبل أن يخرج إلى العالم الخارجي.

وتستطيع الأسرة الواعية أن تدرب الطفل على التعامل مع المواقف الاستهلاكية كعملية الشراء ومفهوم الميزانية مثلاً لكن ذلك يحدث نادراً لدى أسرنا فقد طالت حمى الاستهلاك العشوائي للسلع والكماليات اصحاب الدخل المحدود في مجاراة للنمط العام.

- الباحث الاجتماعي يوسف السالمي يقول: علينا أن نعترف أن زمن الطفرة انتهى وزمن أطفالنا مختلف عن زمننا والإمام علي بن ابي طالب كرم الله وجه يقول «لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».. ولا يمكننا إهمال ظاهرة الاستهلاك العشوائي لدى الأطفال فهم جيل المستقبل ولذا لا بد أن نعلمهم معنى الترشيد الاستهلاكي.

السالمي يورد اقتراحات علماء الاقتصاد لبعض وسائل العلاج فاهمية تقديم القدوة الصالحة في مجال الاستهلاك وأهمية دور وسائل الإعلام في توعية الأطفال وتوجيه برامج إعلامية لتوعية الأطفال بأهمية وكيفية ترشيد استهلاكهم.. وفوق هذا وذاك من الوسائل العلاجية لترشيد الاستهلاك عرض اصول التربية الاقتصادية السليمة على افراد المجتمع والدعوة للأخذ بها.

- تلك هي وسائل العلاج المقترحة من علماء الاقتصاد لتوعية الأطفال من الاستهلاك والعشوائي أما ما يخص الكبار فقد حدد السالمي طرقاً عديدة لمعالجة الاستهلاك العشوائي أهمها زيادة الوعي الاقتصادي والتخلص من القيم الاستهلاكية السلبية وتهذيب اشباع الحاجات والرغبات، اضافة إلى تشجيع الأفراد على الادخار وفتح قنوات لاستثمار مدخراتهم.

رأي الدين

● ما هو رأي الدين ازاء ظاهرة الاستهلاك العشوائي للسلع والكماليات. العامة يحيى العماد عضو المحكمة العليا يقول أن الإسلام يأمرنا بالاقتصاد والتوسط في الأنفاق من غير اسراف ولا تقتير ففي الاسراف ذل وفقر وفي التقتير حسرة ولوم وضوابط ودعا إلى الأخذ بأخلاقيات معينة ليستنير بها الفرد المستهلك.. وقال إن الاعتدال والاقتصاد هو أساس التدبير المنزلي ومن أول الواجبات الشخصية.

٣٠٪ من موارد النقد الأجنبي تذهب إلى هذا السوق..

ان التبرع الطوعي بالدم عمل انساني وواجب وطني وإن قطرات قليلة من دمك تنقذ بها حياة الكثير من المرضى والجرحى.

وزارة الصحة العامة والسكان
البرنامج الوطني لمأمونية وسلامة نقل الدم

أشواق

عبدالكريم الخميسي

التغيير الذاتي

● هل تلاحظون أن أمريكا لم تعد أمريكا، وأنها منذ أن شغلت نفسها بالعراق وشؤون العراق، وتفرغت سياسياً وعسكرياً وإعلامياً لإصلاح أوضاع العرب لم تعد تلك الدولة العظمى الراعية للسلام والأمن في العالم، والمناهضة للظلم والفقر والفصل العنصري حثيما كان.

● ترى .. ماالذي حدث؟! هل تأثرت الولايات المتحدة الأمريكية بالأجواء العربية حتى أصبح المسؤول فيها (عربياً أكثر من العرب) يتكلم كثيراً، ويعمل قليلاً .. مهرجانات، وخطابات، ومقابلات، وتصريحات تماماً كما يفعل الزعماء في العالم الثالث.

● وقد تذكرت للتو قصة واقعية طريفة جرت في بلادنا قبل أربعين عاماً، حين تطوع عدد من المثقفين بعد الثورة وتوجهوا إلى أوساط القبائل اليمنية للتعريف بالجمهورية، وحشد الدعم لها، وتصحيح المفاهيم عنها .. واستمرت المهمة عدة أشهر دون أن ينجحوا في تحقيق الأهداف التي ذهبوا من أجلها، ولما عادوا إلى صنعاء فوجئ الناس بأن أولئك الشباب قد تأثروا بالقبائل ولبسوا مثلهم، فقيل على لسانهم: «خرجنا نبنطلهم .. عسبونا» أي خرجنا ندعوهم للتحديث، فأعادونا إلى الخلف..!!

● ولا أدري هل ستنجح أمريكا في إصلاح الأنظمة العربية أم سينجح العرب في إفسادها؟

إن ماجرى في الماضي (للجمهوريين) اليمنيين سوف يتكرر اليوم مع (الجمهوريين) الأمريكيين إذا لم يستفيدوا من الدرس ويدركوا أن (التغير الذاتي) هو الأجدى والأبقى، و«إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم».

ص. ب: ٤٨٤١ صنعاء
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

الانطباع الأول

□ .. الكثير من المفكرين والمتابعين يقيسون مستوى تقدم أي مجتمع من خلال المشاهد الحية والميدانية المباشرة أو من خلال القراءة والتحليل في البيانات والاحصائيات والتقارير المحلية والدولية التي تستعرض وضع ذلك المجتمع .. وتبقى المشاهدة الميدانية هي أبلغ تقييم وأكثر تأثير.

● ويمكن لأي زائر أن يحتفظ في ذاكرته معايير محددة يسقط عليها تلقائيا مشاهد التقدم أو التخلف لهذا المجتمع أو ذاك.

● ويكون الانسان دوما هو محور التقييم والمقارنة من خلال مستوى معيشته وثقافته وانتاجه وسلوكه ، وتعامله مع النظام والقانون إضافة إلى البنية التحتية التي يستفيد منها والتي تحقق له كل هذا الرخاء.

● هذه الملامح الأولية والانطباع السريع لأي زائر تجعله يتوصل في أي بلد كان وفي أي مستوى يعيش هذا المجتمع رغم أنه لم يعرف كثيرا الوضع الاقتصادي لهذا البلد ، ولم يطلع على طبيعة نظامه التعليمي ولم يعرف دخل الفرد، وليس عنده فكرة عن ظروفه الصحية وكل برهانه ودليل قناعاته هو الانسان الذي شاهده بملابس نظيفة وأنيقة.. واحترامه لحركة السير وتأدبه في الحديث مع الآخرين ، والتزامه بأنظمة قوانين العمل.

مجمل هذه المشاهد الانطباعية هي التي تحدد مستوى تقدم المجتمع..

ومشاهد الفوضى والفساد واغفال دور النظام والقانون ، ومظاهر المرض والقمامة وانتشار الأوبئة ، والأمية ، وكل السلوكيات الضارة كلها شواهد وشهود لايستطيع أحد انكارها عن مجتمع متخلف.

ALariky @ Maktoob. Com